تدريس التفسير في الجامعات الإسلامية
رؤية استراتيجية تكاملية بين التقليد والتجديد
Teaching interpretation in islamic universities
An integrative strategic vision between tradition and renewal

د. محمد الصالح ستي
Taleb.se@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة

تاريخ الاستلام: **تاريخ القبول:** **تاريخ النشر:**

ملخص:

يعد التفسير من أهم العلوم لتعلقه بفهم كتاب الله تعالى، وقد اجتهد علماء الأمة المتقدمون في تفسيره، فخلفوا لنا تراثا تفسيريا ضخما، حوى من كل العلوم والفنون، إلا أن ظهور قضايا ومستجدات لم يكن لها أثر في عهد التنزيل، أدى إلى ضرورة التفكير في إصلاح مناهجه وطرق تدريسه، وفق رؤية استراتيجية، تجمع بين مزايا التقليد ومتطلبات التجديد، وتقطع الطريق على المتربصين بهدم التراث التفسيري والطعن فيه.

الكلمات المفتاحية: التفسير، التدريس، استراتيجية، التقليد، التجديد.

Abstract:

Interpretation is one of the most important sciences because it relates to understanding the Book of God Almighty. Its curricula and methods of teaching, according to a strategic vision, combine the advantages of imitation and the requirements of renewal, and cut off the path for those stalking the demolition and challenge of the exegetical heritage.

Keywords: interpretation; teaching; strategy; tradition; renewal.

1. مقدمـــــــة:

الحمد لله رب الأرباب ومسبب الأسباب، منزل أعظم وأكرم كتاب، نورا وهدى للأولي الألباب، والصلاة والسلام على النبي وآله والأصحاب.

وبعد : فإن علم التفسير من أشرف العلوم وأزكاها، وخير الفنون وأنداها، لتعلقه بفهم كلام رب العالمين، وهداية الناس إلى الطريق المستقيم، وقد اجتهد علماء الأمة ومنذ القرون الأولى في تفسير كتاب الله تعالى تفسيرا تحليليا، ببيان معاني ألفاظه، واستنباط أحكامه وهداياته، فخلّفوا لنا تراثا تفسيرا ضخما، تنوعت مناهجه، وتعددت اتجاهاته، حوى من كل العلوم والفنون: علوم القرآن، الحديث، الفقه، اللغة والنحو، البلاغة والبيان، المنطق وعلم الكلام ...

ومن المعلوم المؤكد أن القرآن الكريم هو حجة الله البالغة، ومعجزة النبي ﷺ الخالدة، والنبع الذي لا ينضب، والنور الذي لا يأفل، فهو مناسب لكل زمان ومكان، ونظرا لتطور حياة البشر وتجدد شؤونهم وحاجاتهم، وظهور أفكار ومفاهيم حديثة لا عهد للأجيال السابقة بها، وبروز مشكلات لم يكن لها أثر في عهد التنزيل، ظهرت بعض الأصوات تنادي بضرورة تجديد التفسير حتى يواكب متطلبات الحاضر وحاجيات العصر، وضرورة إصلاح مناهجه وطرق تدريسه، بيد أن فتح باب التجديد على عواهنه، والإيغال فيه دون قيد أو شرط، سنح الفرصة لبعض الكتاب والمفكرين ممن ترعرع في بلاد الغرب أن يركبوا موجة التجديد من باب فصل الدين عن الحياة، وهتك حرمة المقدسات، وهدم التراث التفسيري والاستهانة بجهود المتقدمين وما خلفوا من مؤلفات، ومحاولة تفسير كلام الله تعالى استنادا لمناهج غربية دخيلة، بحجة أنها أكثر موضوعية وملاءمة لحل مشاكل وقضايا العصر.

وإن كنا نسلم بضرورة تجديد العلوم ـ والتفسير على رأسها ـ وجعلها أكثر ملاءمة واستجابة لمتطلبات العصر، إلا أن هذا لا يعني إطلاقا أن يكون ذلك على حساب هدم تراث الأمة والتفريط في تفاسير المتقدمين، بل يكون من خلال إصلاح الخلل ومعالجة

النقائص، برؤية تكاملية تجمع بين مزايا وفوائد ما تقدم، والاستفادة من مباحث ومناهج ما تجدد وتطور، وبهذا يُغلق الباب على دعاة الهدم والتشكيك والطعن.

من هنا تولدت فكرة هذه الورقة البحثية في محاولة طرح رؤية استراتيجية لتدريس مادة التفسير بالجامعات الإسلامية تكامل بين التقليد والتجديد، فما هو واقع تدريس التفسير بالجامعات ؟ وكيف يمكن تصور رؤية استراتيجية حديثة لتدريسه تحافظ على تراثه وتقاليده ؟

للإجابة على هذه الإشكالية سنعتمد خطة تتضمن النقاط الآتية:

1. مقدمة.
2. تعريف التفسير.
3. تعريف التدريس.
4. حاجة التفسير إلى التجديد لا إلى الهدم والتبديد.
5. مفهوم استراتيجية تدريس مادة التفسير.
6. التسيير الاستراتيجي لمحاضرة مادة التفسير.
7. التسيير الاستراتيجي لحصة الأعمال الموجهة الخاصة بمادة التفسير.
8. خاتمة.

2. تعريف التفسير:

2-1. التفسير في اللغة: مأخوذ من الفسر وهو بيان الشيء وإيضاحه.[1]

التفسير في الاصطلاح: عرفه الزركشي: " هو علم يُفهم به كتاب الله المُنَزَّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه "[2].

وأكثر المتأخرين على وضع تعريف عام للتفسير بأنه: علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البَشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد.

3. تعريف التدريس:

3-1. التدريس لغة: جاء في لسان العرب: " ... درست الكتاب أدرسه درسا، أي دللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه عليّ "[3].

2-3. التدريس اصطلاحا:

قدم الباحثون المعاصرون عدة تعاريف للتدريس، تتقارب وتجمع على أن مصطلح التدريس شهد تطورا في معناه مع تطور مناهجه وطرقه، فتحول من المعنى التقليدي الذي كان يعتمد على المدرس كمصدر وحيد للمعلومات، أو الإجابات على أسئلة الطلاب، إلى المعنى المعاصر الذي يعتمد على التشاركية والتفاعل بين الطلاب والمدرس في تبادل الأفكار وتحديد الأهداف واختيار أحسن طرق إيصال المعلومات، وكل ذلك يتم عن طريق الحوار والمناقشة، كما أن التدريس في الوقت الراهن أصبح يعتبر كعلم وفن له أساليبه وطرائقه وإجراءاته ومناهجه المتنوعة، ولم يعد يقتصر على الجانب التعليمي فحسب، بل تعداه إلى الجانب النفسي والاجتماعي والإنساني ...[4]

4. حاجة التفسير إلى التجديد لا إلى الهدم والتبديد:

يُعرّف التجديد في الدين بأنه إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والعمل بمقتضاهما[5]، فالتجديد ليس تغييرا في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة في أذهان الناس عن الدين وإعادته إلى ما كان عليه في عهد السلف الأول. [6]

أما التجديد في التفسير فيقوم على تقديم فهوم القرآن للناس في ضوء أحوالهم وظروفهم، وبما يتناسب مع معطياتهم الواقعية ليكون التفسير قادرا على إسعاف البشرية بما تحتاج إليه وما يصلح حالها وما تطلبه لتحسين ظروفها.[7]

وقد فرض التجديد في التفسير نفسه بإلحاح وصار أمرا ضروريا، نظرا لحاجة الأمة الإسلامية اليوم للعودة للقرآن الكريم قراءة وتدبرا واستنباطا، لمعالجة ما حل بها من أسقام، وتقويم ما ظهر فيها من انحراف واعوجاج عن الطريق المستقيم والفهم السليم، فالقرآن الكريم هو دليل الشفاء ودستور الحياة، ومصدر التشريع وسبيل النجاة، ولا صلاح للأمة ولا نهوض لها إلا بالرجوع إليه ولاهتداء بهديه.

ولا شك أن علماء أمة الإسلام المتقدمين قد خلفوا لنا تراثا تفسيريا ضخما، حوى من كل العلوم والفنون، إلا أن طريقتهم في تناول التفسير آية بعد آية وسورة بعد سورة بطريقة تحليلية يتم فيها دراسة الآيات من كل جوانبها اللغوية والنحوية والبلاغية والبيانية ووجوه القراءات والمناسبات ... وإن كانت نافعة في زمانهم متناسبة مع عقولهم الموسوعية ومداركهم القوية وهممهم العلية، فحال المسلمين اليوم أبعد ما يكون عن استيعاب تلك العلوم وإدراك تلك الفنون، وهم في أمس الحاجة اليوم إلى ما يصلح حالهم، ويهدي بالهم، ويرشدهم إلى طريق الخير والفلاح.

كما أن اقتصار بعض المفسرين على فهم المعاني الجزئية للمفردات، دون ربطها بالمعاني الكلية للآيات، والإيغال في إيراد المسائل الفقهية والقضايا النحوية والمباحث الكلامية، والتوسع في تعديد الأقوال والآراء والخلاف بينها، ومناقشتها والرد عليها، جعل التفسير يكاد يكون من علوم الخواص، وأبعد أن يستفيد منه عموم الناس، مما فتح عليه باب الانتقاد والاستنقاص من أطراف عديدة، لبعده عن تحقيق الهداية المنشودة وتزكية النفوس المرغوبة.

وازدادت الحاجة للتجديد في التفسير لما كثرت الدعوات الباطلة لإعادة النظر في التراث التفسيري، وكان الهدف منها عزل فهم الأمة عن أفهام السابقين، وقطع كل صلة بكتب الأقدمين، والزعم بأن لكل عصر تفسيرا وفهما لا ينبغي نقله لغيره، وهذه أفكار هدامة وتوجهات منحرفة، تبناها طائفة من الكتاب والمفكرين العرب؛ الذين نشأوا وترعرعوا في أحضان العالم الغربي الليبرالي، فأُشربوا أفكاره وتشبّعوا بثقافاته وفلسفاته، ولما رجعوا إلى أوطانهم أرادوا تجسيد ما تلقوه على الواقع العربي الإسلامي، فظهر ما يعرف بتيار الحداثة أو العلمانية العربية، والذي ربط بين الدين والتخلف الذي كانت تعيشه الأمة العربية الإسلامية آنذاك.

وأكثر ما ميز هذا التوجه الحداثي في التفسير هو محاولة هدم التراث التفسيري للمسلمين والاستهانة به، والتشكيك في جهود المفسرين المتقدمين، وفي هذا يقول جمال البنا في مقدمة كتابه تفسير القرآن: " إن هذه الإشارات العابرة التي اتسعت لها هذه المقدمة،

وما سيلي في فصول الكتاب جعلنا ندعو إلى صرف النظر عن الاحتجاج بالتفاسير، ونرى أنها جنت جناية عظمى على القرآن؛ لأنها صرفت الناس على مطالعة النص أو الاستماع إليه، وما يجديه ذلك من هداية ومن تأثير في النفس ومن تفاعل مع الإرادة، تحوّل كل هذا إلى مرويات ركيكة عديدة لا حصر لها لا يجمعها جامع، بل يضرب بعضها بعضا "[8].

وقال في موضع آخر" ورأينا الخاص أن التفاسير التقليدية ليست ضرورية، بل إنها تسيء أكثر مما تفيد ... ومطالعة الأجيال المعاصرة لهذه التفاسير يسيء إساءة مضاعفة، إساءة تتعلق بإبعاد الجيل عن عالمه وعصره الذي يعيش فيه، والذي لا يمكن تجاهله والفرار منه، وستكون نتيجة هذه المطالعة التعقيد أو الانحراف أو النكوص "[9].

ومن أشهر هذه المناهج الحداثية: الهرمنيوطيقا، والمنهج الألسني، المنهج التاريخي، المنهج الأسطوري، البنيوية، والتفكيكية، ومن أبرز رواد هذا الفكر: نصر حامد أبو زيد، الطيب التيزيني، ومحمد عابد الجابري، ومحمد شحرور، ومحمد أركون ... وغيرهم، وليس لهذه التيارات تفاسير كاملة، وإنما هي تفاسير لبعض الآيات، ومحاولات لفهم بعض المواضع والسور بما يخدم أفكارهم وأهواءهم.

ولسنا بصدد التطرق لتعريف وشرح هذه المناهج، أو نقد ومناقشة مبادئها وأفكارها، فالأمر يطول وليس هذا محله، وإنما تجدر الإشارة إلى أن كل هذه المناهج والتيارات وعلى اختلاف قواعدها وأفكارها تجتمع على جملة من المبادئ أهمها:

أ- نزع القداسة عن النص القرآني، ففي اعتقادهم أن النص القرآني تصبغ بالصبغة البشرية فور نزوله، فلا يسلم من النقد والتشكيك والمناقشة كغيره من النصوص، وعليه فهم لا يعترفون بالمصدر الإلاهي للتشريع، ويفهمون النصوص الدينية على مساواة

المفسر نفسه بالمؤلف، وأن يحل مكانه عن طريق إعادة البناء الذاتي والموضوعي لتجربة المؤلف من خلال النص.

ب- الاستخفاف بالتراث وتسفيه علماء الأمة المتقدمين، خاصة ما تعلق بالتفاسير السابقة ودراسات علوم القرآن خصوصا، وهذا بغية قطع الأمة عن ماضيها، وفصل العلوم عن تطورها الطبيعي في سياقها المعرفي والمنطقي، ووصلها بماض وفكر غربي دخيل عليها.

ج- القول بتاريخية الحقائق والأحكام وأسطورية العقائد والغيبيات، فكل الظواهر والأفكار تخضع لحيثياتها الزمانية والمكانية، وهي قابلة للتطور والتغيير، وإعادة التوظيف والتحويل، فلا شيء ثابت عندهم، حتى العقائد الدينية والغيبيات ليست بمنأى عن التحول والتغيير، وبذلك فهم ينقضون الدين من داخله، ويبعدونه عن حياة الناس.

د- إعادة النظر في التشريع الإسلامي كله دون قيد، وتطوير الشريعة لتطابق الحضارة الغربية، أو الاقتراب منها إلى أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل على أقل تقدير، والأخذ بالمناهج الغربية في دراسة التراث، خاصة نصوص القرآن والسنة، بزعم أن مناهج الأقدمين قد تجاوزها الزمن، ولم تعد صالحة للدراسة العلمية الدقيقة في العصر الحاضر.[10]

وسعيا لقطع الطريق عن هذه التيارات المنحرفة والمناهج الباطلة، ومحافظة على مقدسات الأمة ومعتقداتها وهويتها، وبغية مواكبة التفسير لمتطلبات وحاجيات العصر، وحتى لا يبقى التفسير حبيس الأوراق والصحف، وجب على علماء الأمة تبني رؤية إصلاحية لمناهج التفسير وطرق تدريسه، تجمع بين محاسن التقليد ومتطلبات التجديد، فيكون بذلك التجديد في التفسير منضبطا بالضوابط العلمية، ملتزما بالأسس المنهجية، قائما على الإبداع والتحسين والجدة، والاستفادة من العلوم والمعارف والثقافات المعاصرة، وتوسيع معاني الآيات القرآنية، وإحسان تنزيلها على الواقع المعاش، والعمل على حل مشكلات الأمة على هدي من القرآن.

5. مفهوم استراتيجية التدريس:

تعرف استراتيجية التدريس بأنها : مجموعة الإجراءات والوسائل التي تستخدم من قبل المعلم، ويؤدي استخدامها إلى تمكين التلاميذ من الخبرات التعليمية المخططة، وبلوغ الأهداف التربوية المنشودة.[11]

فالاستراتيجية تعني خط السير الموصل للهدف، وتشمل الخطوات الأساسية التي خطط لها المدرس في تحقيق أهداف المنهج، ويدخل فيها كل فعل له في النهاية قصد أو غاية في إيصال المعلومات، فهي تتصل بالجوانب التي تساعد على حدوث التعلم الفاعل، سواء في الجانب المعرفي أو السلوكي أو المهاري، كاستعمال طرائق التدريس الفعالة، واستغلال دوافع المتعلمين ومراعاة استعداداتهم وميولهم، وتوفير البيئة الدراسية الملائمة، وغير ذلك من الجوانب المتصلة بالتدريس.

وتتميز استراتيجية التدريس بما يأتي:

أ- قادرة على تحقيق الهدف التعليمي بأقل وقت وجهد.

ب- تتلاءم وقدرات المتعلمين المعرفية، وميولاتهم السيكولوجية والنفسية.

ج- تستثير دافعية المتعلمين نحو التعلم، وحثهم على التفكير الجيد والوصول إلى النتائج.

د- إمكانية تعديلها بحسب الظروف المادية والاجتماعية للتدريس.

هـ- تعتمد على الانتقال من المعلوم إلى المجهول .

و- تسهم في الربط بين الجانبين النظري والتطبيقي للمادة .[12]

وما دمنا نتحدث عن تدريس مادة التفسير فحري أن نذكر الأهداف الاستراتيجية المتوخاة من خلال تدريس هذه المادة، وأهمها:

أ- سلامة فهم كتاب الله تعالى، في ضوء قواعد اللغة العربية، وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره في ضوء الحديث النبوي الشريف.

ب- غرس محبة القرآن وتقديسه في نفوس الطلاب، وإعدادهم إعداد صحيحا شاملا، يحصنهم من الزيغ والانحراف.

ج- ربط الأمة بتاريخها وتراثها، والمحافظة على عقائدها وأصولها.

د- ربط معاني القرآن الكريم بأوضاع الحياة العملية وبباقي العلوم الإسلامية.

هـ- تكوين القدرة على استخلاص واستنباط الأحكام والمعاني من آيات القرآن الكريم.

و- إظهار جوانب الإعجاز المختلفة في القرآن الكريم.

ز- القدرة على تمييز الأصيل من الدخيل في التفسير، والتصدي لرد كل الشبهات والأباطيل التي أثارها أعداء الإسلام في الداخل والخارج حول تفسير بعض الآيات.[13]

وبالرجوع إلى تدريس مادة التفسير في الجامعات الإسلامية، فمن المعلوم أنها تدرس على جانبيين، جانب نظري على مستوى المحاضرة، وجانب تطبيقي على مستوى حصة الأعمال الموجهة، وسوف نتناول كل جانب على حدة.

6. التسيير الاستراتيجي الفعال للمحاضرة:

من المعلوم أن المنهج المعتمد في المحاضرة يعتمد أسلوب الإلقاء، فالأستاذ هو المكلف بعرض المعلومات والمعارف للطلبة في عبارات متسلسلة يسردها بطريقة معينة.

وقد كان لهذه الطريقة مجموعة من السلبيات سواء للملقي أو المتلقي ومنها:

أ- تسبب إجهاد الأستاذ المحاضر حيث يُلقى عليه العبء طول المحاضرة، ويزداد الأمر صعوبة عندما يكون للأستاذ أكثر من محاضرة في اليوم.

ب- تنمي عند الطالب صفة الاتكال والاعتماد الكلي على الأستاذ.

ج- تؤدي إلى شيوع الملل والسآمة بين الطلاب، بسبب طول مدة الاستماع للمحاضرة، خاصة إذا سار إلقاء الأستاذ على وتيرة واحدة.

د- تغفل ميول الطلاب ورغباتهم والفروق الفردية بينهم.

هـ- تحرم الطلبة من الاشتراك الفعال في تحديد أهداف الدرس ورسم خطته، فتقدم المادة العلمية على أنها أفكار وأقوال منفصلة، لا على أنها خبرات متصلة، مما يضيع على الطلاب اكتساب المهارات والكفاءات المطلوبة.[14]

ورغم تقليدية هذا الأسلوب إلا أنه يفرض نفسه ضرورة على نطاق واسع من التدريس الجامعي، نظرا لكثرة عدد الطلاب في الصف الواحد، وكذا محدودية الزمن وكثافة

البرامج، إضافة إلى الضعف الشديد لمستوى كثير من الطلبة، بحيث لا يملكون أهلية المبادرة والمشاركة الفعالة في عملية التدريس.

ومع تقليدية هذا الأسلوب وما يكتنفه من سلبيات، إلا أن للأستاذ مجالا معتبرا للإبداع والتجديد في أسلوب المحاضرة، ونلخص ذلك في مجموعة من النقاط:

1-6. بخصوص الأستاذ المحاضر:

أ- تجنب الرتابة والركاكة في الإلقاء، فعلى الأستاذ المحاضر أن يستفيد في هذا المجال من عديد الدراسات الحديثة في أساليب الإلقاء المؤثر والفعال، والتي تعتمد أساس على تغيير نبرات الصوت والحركات المعبرة في بيان المعاني.

ب- عدم الإسراع في الشرح ومراعاة الفروق الفردية بين الطلبة.

ج- التحضير الجيد لموضوع المحاضرة، والاعتماد على المشافهة بقدر الإمكان، وتجنب الإلقاء السردي من الكراس أو الورقة، فكلما اجتهد الأستاذ في تحضير درسه والإلمام بجميع جوانبه، كثرت ملاحظاته وتنبيهاته، وتعددت تعقيباته واستدراكاته، وهذ ما يلفت انتباه الطلبة ويتركهم في اشتياق دائم لاصطياد هذه الملاحظات والاستدراكات.

د- الاعتماد على أسلوب التشويق والإثارة عند إلقاء المعلومة، وبخاصة عند المدخل والتقديم للموضوع أو الانتقال من فكرة إلى أخرى.

هـ- رغم أن أسلوب المحاضرة يعتمد على الإلقاء إلا أن هذا لا يمنع الأستاذ وفي حدود ما يسنح به الوقت إلى استثارة الطلبة ببعض الأسئلة الشفوية، أو فتح مجال المناقشة والحوار حول بعض عناصر الدرس، لتقويم وتهذيب أفكار الطلبة، ومعرفة مدى استيعابهم لمادة الدرس، وتدريبهم على آداب الحوار وتقبل الرأي الآخر.

2-6. بخصوص المادة المعروضة:

أولا- مادة التفسير التحليلي: وهو التفسير الذي يتتبع فيه المفسر ترتيب سور القرآن، وتسلسل آياته التوقيفي، حيث يتناول المفسر الآيات بالتحليل الموسع والشرح المفصل، فيذكر كل المباحث المتعلقة بالآية من: روايات وأخبار، أسباب نزول، قراءات، مباحث

اللغة والنحو والبلاغة، مناسبات، مسائل فقهية، عقدية، اجتماعية، علمية ...، ويزداد حجم هذه المباحث وينقص حسب نوع التفسير وتوجه المفسر.

وقد تعرض هذا النوع من التفسير إلى انتقادات كثيرة، وعليه سوف نعرض بعض الخطوات المنهجية الحديثة التي تضفي عليه نوعا من التجديد والحيوية، وتنقلها من الجانب الإلقائي السردي إلى جانب التفاعل والتشارك، وأهم هذه الخطوات:

الخطوة الأولى: التهيئة النفسية لفهم النص وتفسيره

وتتطلب هذه المرحلة أن يراعي الأستاذ تهيئة الطلاب ولفت انتباههم لأهمية الدرس عن طريق الإشارة إلى واقعة أو حدث متعلق بسبب النزول، أو حادثة وقعت لأحد المفسرين مع هذه الآيات، أو حكم مهم متعلق بها، أو ربطها بقضية أو مشكلة معاصرة ...

كما يمكن إشراك الطلبة في بناء الدرس من خلال المناقشة حول الموضوع العام للآيات محل التفسير، أو تحديد الأهداف العامة لها.

الخطوة الثانية: التلاوة المرتلة للآيات

وتعد هذه الخطوة مهمة جدا قبل الشروع في التفسير خاصة إذا ما كانت التلاوة مرتلة ومعبرة، وهو ما يصطلح عليه بالقراءة التفسيرية، والتي تعني قراءة الآيات القرآنية بطرق أدائية ومستويات صوتية مختلفة تبين معانيها، كما يمكن أن يشرك الأستاذ أحد الطلبة أو بعضهم في إعادة تلاوة الآيات.

الخطوة الثالثة: الشرح العام ثم المفصل للآيات.

في هذه الخطوة يقوم الأستاذ بشرح الآيات وتوضيح معانيها، مستحضرا المباحث المعروفة للتفسير التحليلي، ويراعي في ذلك ضرورة ترتيب الأفكار ترتيبا منطقيا متسلسلا، فيبدأ بالمعنى العام أولا، ثم يتطرق للمعاني الخاصة بكل آية أو مقطع، مبرزا للترابط بين هذه المعاني والمعنى العام، مستعينا ببعض الأحاديث والآثار المرتبطة بالآيات، مقتصرا في ذلك على ما صح منها، مبتعدا عن الأساطير والإسرائيليات المكذوبة.

ولا بأس أن يستأنس بالإشارة إلى بعض الفوائد اللغوية والبيانية والأحكام الفقهية التي تضمنتها الآيات دون إطناب أو تفصيل، وإنما غاية ذلك ما يخدم معنى الآيات ويعزز فهم بعض الأفكار المتعلقة بالمعنى.

الخطوة الرابعة: استخلاص الإرشادات والهدايات

وتعتبر هذه الخطوة من أهم الخطوات التي تفتح للأستاذ مجالا واسعا للتجديد والإبداع، ومحاولة ربط الآيات المفسرة بالواقع المعاش والقضايا الحادثة، فيستخلص الأستاذ بمعية الطلبة أهم الدروس المستفادة من الآيات ويحددها في نقاط معينة، فيكون هذا بمثابة الفهم العملي والتطبيقي للآيات، فيثبت الحفظ وترسخ المعاني، ويضفي على التفسير روحا عملية تخرجه من بوتقة الجمود والتراثية.[15]

وبهذا الصدد يمكن للأستاذ أن يستعين ويستفيد من بعض التفاسير التجديدية المعاصرة المقبولة ومنها:

أ- **التفسير الاجتماعي الإصلاحي:** وهو التفسير الذي يُعنى بإصلاح المجتمع، وتشخيص عيوبه ومشاكله، وعلاجها على ضوء القرآن الكريم، كما يهتم ببيان سنن الله في الخلق، ونظام الاجتماع البشري، وأسباب ترقي الأمم، وتدليها وقوتها وضعفها.

ولهذا اللون من التفسير نفع كبير في معالجة حالة الضعف والتمزق التي أصابت أمة الإسلام، لأن أغلب ممارسيه يعتنون بالنظر إلى القرآن من زاوية الإصلاح الاجتماعي، وكيف أن القرآن يصلح ويزكي المجتمعات ويطهرها من دنس المعاصي والانحرافات، فينظر المفسر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص يلتمس داءه ويتعرف على علته، حتى إذا عرفه نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج، فإذا ما وجده توسع في شرحه وبيانه وحث قومه على التزامه.[16]

ومن أشهر تفاسير هذا اللون: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، تفسير المراغي للشيخ مصطفى المراغي، ومجالس التذكير للإمام ابن باديس.

ب- **التفسير العلمي:** وهو نوع من التفاسير المعاصرة يعتمد على اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز القرآن، ويدل على صلاحيته لكل زمان ومكان.[17]

وقد وُجِد في هذا اللون من ألوان التفسير ميدانا ملائما للدعوة إلى الإسلام، وإقامة الدليل على أن القرآن وحي يوحى، وأنه تنزيل من حكيم حميد في الوقت الذي ضعفت فيه سليقة العرب اللغوية، وأضحوا غير قادرين على تذوق الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وفي الوقت الذي عد فيه هذا الإعجاز قادرا على مخاطبة العرب وغير العرب، كما يقوى على إدراكه المسلمون وغير المسلمين.[18]

وأكثر من اشتهر به محمد عبده وطنطاوي جوهري.

ج- **التفسير المقاصدي:** وهو التفسير الذي يُعنى ببيان الغايات والأهداف التي أنزل الله القرآن لأجلها، مع بيان كيفية الاستفادة منها، وتطبيقاتها مراعاة لمصالح العباد.[19]

ومن أكثر من اهتم بهذا اللون من التفسير الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير.

ثانيا- مادة التفسير الموضوعي:

التفسير الموضوعي هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر[20]، ويعد هذا التفسير من أبرز مظاهر التجديد في التفسير المعاصر، بحيث يبدأ فيه المفسر من الواقع الذي يعيش فيه، ويدرك حاجات الأُمّة والإنسانية في عصره على مختلف جوانبها، وينظر في حاجاتها الفكرية والنظرية والعلمية والسلوكية والإنسانية والحضارية والسياسية والاقتصادية، وغير ذلك، وبعدما يعي هذه الحاجات الواقعية، ويحسن تشخيصها واستيعابها، يتوجّه إلى القرآن ليتفاعل معه، ويتعلّم منه، ويعرف رأيه في هذه الحاجات والقضايا الواقعية المعاصرة .[21]

ويندرج تحت هذا اللون من التفسير ثلاثة أنواع نذكرها باختصار وهي:

أ- **الموضوع القرآني:** أن يختار المفسر موضوعا من موضوعات القرآن العامة، ويجمع كل الآيات القرآنية التي تناولته، وينظر فيها ويستخرج منها الدلالات والهدايات المختلفة، ثم يعيد بناءها في نسق معين، ويقدم من خلالها الحلول للقضايا والمشاكل التي تدور في واقعه المعاش، وهذا النوع هو أساس وأصل التفسير الموضوعي.[22]

ب- **المصطلح القرآني:** أن يختار المفسر لفظا من ألفاظ القرآن الكريم، ورد كثيرا في السياق القرآني، فيتتبعه في السور والآيات، ويلحظ اشتقاقاته، وتصاريفه المختلفة، وينظر في الآيات التي أوردته مجتمعة، ويستخرج منها الدلالات واللطائف والحقائق.[23]

ج- **السورة القرآنية:** أن يختار المفسر سورة من القرآن الكريم، فيستخرج هدفها الأساسي، أو أهدافها الرئيسية، ثم يبحث عن سبب النزول للسورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة، ثم يدرس الأساليب القرآنية في عرض الموضوع، والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة، فيتوصل إلى شخصية السورة المستقلة ووحدتها الموضوعية.[24]

وتظهر أهمية التفسير الموضوعي في النقاط الآتية:

أ- تقديم حلول لمشكلات المسلمين المعاصرة على أسس ومبادئ نص عليها القرآن الكريم.

ب- تقديم القرآن الكريم تقديماً علمياً منهجياً لإنسان هذا العصر، وإبراز عظمة هذا القرآن وحسن عرض مبادئه وموضوعاته، واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة أداة لهذا الغرض.

ج- إظهار حيوية وواقعية القرآن الكريم؛ حيث أنه يصلح لكل زمان ومكان.

د- ابراز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن؛ الذي لا تنقضي عجائبه.

هـ- تأصيل الدراسات القرآنية وعرضها عرضاً قرآنياً منهجياً.

و- الرد عل أهل الأهواء والشبه قديما وحديثا، لكون دراسة مثل هذا النوع من التفسير يجمع شتات الموضوع الواحد ويحيط به، فيمكن دراسته بيسر والرد على المخالفين.

ز- يخدم التفسير الموضوعي تفسير القرآن بالقرآن، فما عُمم في موضع خُصص في آخر، وما أُطلق في موضع قُيد في آخر، فمن خلال جمع آيات الموضوع الواحد، يظهر تفسير هذه الآيات لبعضها البعض، كما يمكن إزالة ما يوهم التعارض بين الآيات إن وجد.[25]

وقد أخذت مكانة هذا اللون من التفسير تتوسع شيئا فشيئا في دائرة الدراسات المعاصرة، مما دفع ببعض الباحثين إلى المناداة بالاستغناء عن التفسير التحليلي في هذا العصر لتجاوز الزمن له، وعدم مناسبته لمتطلبات الزمان ومقاصد القرآن، ولا ريب أن مثل هذا التوجه خطأ جسيم وزلل عظيم، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فكيف يدرك موضوعاته، ويفهم مدلولاته، ويصل إلى حقائقه، ويقف على حلوله وعلاجاته، من لم يفهم لغة القرآن وبلاغته وأساليب تعبيره ؟ ومن لم يطلع على المأثور الصحيح في تفسيره ؟ ومن لم يتعلم ناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ؟

فلا ريب أن من توجّه إلى التفسير الموضوعي دون تحصيل التفسير التحليلي كان كحاطب ليل، وأتى بالعجائب، وجمع كل غث وسمين، فيكون فساده أكثر من إصلاحه، فالتفسير التحليلي شرط ضروري وأصل أساس للتفسير الموضوعي، والنوعان من التفسير خطوتان متتابعتان ومرحلتان متكاملتان، فلا يمكن أن تخطو الخطوة الثانية دون المرور على الخطوة الأولى، ولا يمكن الوصول إلى المرحلة الثانية دون تحصيل المرحلة الأولى.

ودور الأستاذ المحاضر بصدد تدريس هذا اللون من التفسير يكمن في تمكين الطلبة من فهم واستيعاب الأنواع الثلاثة للتفسير الموضوعي، وشرح أهم الخطوات المنهجية لكل نوع، مع تقديم بعض الأمثلة للتوضيح والبيان.

7. التسيير الاستراتيجي الفعال لحصة الأعمال الموجهة:

تعد حصة الأعمال الموجهة المجال الفعلي لمشاركة الطلاب وتنمية قدراتهم على البحث والكتابة، وصقل معارفهم وتصويب أخطائهم، وأشهر طرق التدريس المنتهجة في تسيير

مثل هذه الحصص هي الطريقة البحثية، والتي تعتمد على عرض ما ينتجه الطلاب من بحوث ومشاركات، ثم تقييمها وتقويمها من طرف الأستاذ المشرف، وتسند أساسا على أسلوب المناقشة والحوار، وما يتميز به من إيجابيات أهمها:

أ- ايقاظ تفكير الطالب وتقوية قدراته العقلية من خلال التحليل والاستنباط.

ب- تنمية ثقة الطالب بنفسه؛ بتدريبه على البحث عن الحقائق واكتساب مهارات الإلقاء والتحاور.

ج- تجديد نشاط الطلاب وإبعاد السآمة والملل عنهم.

د- من الوسائل المؤثرة في اقناع الطالب، كونه مصدر المعلومة.

هـ- أنها تبدأ من الخطأ المعلوم إلى الصواب المجهول.[26]

إضافة إلى طريقة التدريس البحثية المعتادة في تنشيط حصص الأعمال الموجهة، فإن للأستاذ المطبق واسع النظر في الاستفادة من بعض مناهج التدريس الحديثة في هذا الباب، والتي نذكر منها:[27]

طريقة التدريس التعاوني: فعوض تكليف طالب أو مجموعة واحدة بتحضير البحث، تعتمد هذه الطريقة على تقسيم الطلبة في الصف إلى مجموعات تزيد وتنقص بحسب طبية الموضوع، وتكليف كل مجموعة بجزء من عمل مشترك، كالاشتراك في تفسير بعض الآيات، أو استنباط بعض الفوائد والهدايات ...، ثم تناقش هذه الأعمال داخل الحصة، وبعض التصحيح والتنقيح تجمع في عمل واحد بمشاركة جميع الطلبة، وتتميز هذه الطريقة بتنمية الروح الجماعية بين الطلاب، وتبادل الأفكار والخبرات فيما بينهم.

طريقة التمثيل: وتتطلب هذه الطريقة فقه الأستاذ الجيد للواقع، حيث يقوم بتوضيح معاني الآيات عن طريق التمثيل بمستجدات الواقع الذي يعيشه الطلاب، والأحداث

التي تتناسب مع مقاصد هذه الآيات، أو بإنزال الأحكام الشرعية المستنبطة منازلها بعد تحقيق مناطها، حيث يعد الواقع أحد عناصر تحليل وتحقيق مناطات الأحكام.

طريقة العرض بالوسائل الحديثة: حيث يقوم الأستاذ بعرض تفسير الآيات القرآنية باستخدام الوسائل الحديثة مثل: عرض الشرائح، أو الصور الذكية، أو البحث الالكتروني ...، ولهذه الوسائل دور هام في كسر حاجز الملل والرتابة، ولفت انتباه الطلبة لتعلق جيل العصر بمثل هذه الوسائل.

أما بخصوص الأعمال الموجهة في التفسير الموضوعي ففي الحقيقة ما زال البحث جاريا في محاولة ضبط وتأصيل مناهج البحث في هذا اللون من التفسير، لكن ما يجدر الإشارة إليه بهذا الخصوص ضرورة توجيه الطلبة وتدريبهم على تناول بعض المواضيع المتعلقة بحوادث وقضايا العصر المحيطة بهم نحو: الفساد، الانحلال الخلقي، الأمانة، تربية الأولاد، التعليم ....، ودراستها من خلال القرآن الكريم، والاستفادة من العلاج القرآني لها، في حلحلة مشاكل وقضايا العصر.

7. الخاتمــة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى النتائج الآتية:

أ- عرف مصطلح التدريس تطورا في معناه، إذ تحول من التدريس التقليدي الذي كان يعتمد على المدرس كمصدر وحيد للمعلومات، إلى المعنى المعاصر الذي يعتمد على التفاعل والتشارك بين الطلبة والمدرس.

ب- التجديد في الدين هو إحياء ما اندرس منه، وإرجاعه إلى أصله، وليس تغيير حقائق الدين الثابتة لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم.

ج- التجديد في التفسير هو محاولة استدراك ما ظهر من نقص في تفاسير المتقدمين، وجعلها أكثر استجابة لمتطلبات وقضايا العصر.

د- كل دعوى تجديد تقوم على هدم التراث التفسيري، والطعن في جهود المتقدمين، هي دعوى باطلة غرضها هتك حرمة مقدسات الأمة وفصلها عن دينها.

هـ- أهم ما يميز استراتيجية التدريس هو الربط بين الوسائل والإجراءات المستخدمة والأهداف والغايات المنشودة.

و- إن تبني رؤية استراتيجية لتدريس التفسير تجمع بين محاسن التقليد ومتطلبات التجديد، هو السبيل الأمثل لتحصيل تفسير تجديدي منضبط بالضوابط العلمية والأسس المنهجية، وقطع الطريق في وجه كل الدعاوى الباطلة والمناهج الدخيلة.

الهوامش:

[1] : ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 504/4.

[2] : البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، 13/1.

[3] : لسان العرب، ابن منظور، 79/6.

[4]: ينظر: تعليم التربية الإسلامية، ناصر وعيد الخوالدة، ص 234. اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس، محمد السيد علي، ص 124 - المدخل إلى التدريس، سهيلة محسن الفتلاوي، ص 13.

[5] : عون المعبود شرح سنن أبي داوود، العظيم آبادي، 260/11.

[6] : التجديد في التفسير- نظرة في المفهوم وضوابط، عثمان أحمد عبد الرحيم، ص 14.

[7] : المرجع نفسه، ص 15.

[8] : تفسير القرآن، جمال البنا، ص 16.

[9] : المرجع نفسه، ص 224-225.

[10] : ينظر: الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ص 38.

[11] : طرق التدريس العامة، ومهارات تنفيذ وتخطيط عملية التدريس، عبد الرحمان جامل، ص 15.

[12] : ينظر: الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، محسن علي عطية، ص 64-65.

[13] : ينظر: تدريس القرآن الكريم، هلال محمد علي السفياني، ص 177-178.

[14] : ينظر: طرق تدرس القرآن الكريم والتجويد، جمال القرش، ص 19-20.

[15] : ينظر: التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، فتحي علي يونس وآخرون، ص 297-298.

[16] : ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي، ص 105.

[17] : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، ص 288.

[18] : مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، محمد عدنان زرزور، ص 234.

[19] : التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، أحمد محمد علي المصري، ص 16.

[20] : ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، ص 20. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص 16.

[21] : التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 48.

[22] : ينظر: محاضرات في التفسير الموضوعي، عباس عوض الله، ص 28.

[23] : التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 59.

[24] : ينظر: وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، عبد السلام حمدان اللوح، ص 21.

[25] : ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني، ص 12-13. البداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي، ص 76-77.

[26] : ينظر: طرق تدريس القرآن الكريم والتجويد، جمال القرش، ص 29.

[27] : تدريس القرآن الكريم، هلال محمد علي السفياني، ص 182-183.

قائمة المصادر والمراجع

1- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، الطبعة الأولى، السعودية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، 1407 هـ.

2- اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس، محمد السيد علي، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، دار المسيرة للطباعة والنشر، 2011 م.

3- الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، دون طبعة، الكويت، دار الفرقان، 1975م.

4- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي، الطبعة الرابعة، مكتبة التوبة، 1419 هـ.

5- البداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي، الطبعة الأولى، دون ناشر، 1976م.

6- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار إحياء الكتب العربية، 1376 هـ / 1957 م.

7- التجديد في التفسير- نظرة في المفهوم وضوابط، عثمان أحمد عبد الرحيم، دون طبعة، الكويت، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية.

8- تدريس القرآن الكريم، هلال محمد علي السفياني، الطبعة الأولى، اليمن، ، جامعة حضرموت، 1441 هـ.

9- التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، فتحي علي يونس وآخرون، الطبعة الأولى، عالم الكتب، 1999 م.

10- تعليم التربية الإسلامية، ناصر وعيد الخوالدة، دون طبعة، الأردن، مكتبة الفلاح، 2010 م.

11- تفسير القرآن، جمال البنا، دون طبعة، مصر، دار كتب عربية.

12- التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، أحمد محمد علي المصري، مصر، جامعة الأزهر.

13- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، الطبعة الثانية، عمان، دار النفائس، 1433 هـ/ 2012 م.

14- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 100، ذو الحجة 1413 هـ.

14 طرق التدريس العامة، ومهارات تنفيذ وتخطيط عملية التدريس، عبد الرحمان جامل، دون طبعة، عمان، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع،

15- طرائق تدرس القرآن الكريم والتجويد، جمال القرش، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، مكتبة طالب العلم ناشرون، 1436 هـ.

16- عون المعبود شرح سنن أبي داوود، العظيم آبادي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 هـ.

17- الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، محسن علي عطية، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، مكتبة لسان العرب، 2006 م.

18- لسان العرب، ابن منظور جمال الدين، الطبعة الثالثة، بيروت، در صادر، 1414 هـ.

19- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، الطبعة الرابعة، دار القلم، 1426 هـ/ 2005 م.

20- محاضرات في التفسير الموضوعي، عباس عوض الله، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 1428 هـ/ 2007 م.
21- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، محمد عدنان زرزور، الطبعة الثانية، دمشق، دار القلم، 1491 هـ/ 2009 م.
22- المدخل إلى التدريس، سهيلة محسن الفتلاوي، الطبعة الأولى، مركز الشروق للنشر، 2010 م.
23- المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، الطبعة الثانية، دار النشر والتوزيع الإسلامية، 1411 هـ/ 1991 م.
24- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ/ 1979م.
25 وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، عبد السلام حمدان اللوح، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، يناير 2014 م.